مكانة المسنين ورعايتهم في الأسرة الجزائرية

أ.مراد بوبركة
جامعة مستغانم، الجزائر

أ.د. محمد حمداوي
جامعة مستغانم، الجزائر

ملخص:

يتناول هذا المقال بالبحث مكانة ورعاية فئة مهمة من فئات المجتمع، لم تنل ما تستحقه من الدراسة، خاصة الميدانية منها، التي تصور وضعيتها كما هي في الواقع وتفسرها وتحللها : إنها فئة المسنين أو كبار السن كما تسميها بعض المراجع. و لقد تم التركيز على هذه الفئة على أساس أنها، رغم أهميتها في المجتمع، لم تتلق الاهتمام الكافي واللازم، مثل بعض الفئات الاجتماعية الأخرى، على غرار المرأة والشباب مثلا.

وقد نظرنا إلى العلاقة بين المكانة والرعاية، من منطلق أن مكانة كل فرد داخل المجتمع عامة، و داخل الأسرة خاصة، هي التي تحدد درجة اهتمام أفراد المجتمع والأسرة به ورعايتهم له. وأنه كلما ازدادت مكانة المسن داخل الأسرة كلما رافقتها زيادة في مستوى الرعاية المقدمة له.

الكلمات المفتاحية: الدور – المكانة – الرعاية – المسنين – الأسرة

Abstract:

Turning in this article to the position and care of the life stage important in the community, has not received right from the study. Especially with regard to field study, namely the elderly and I focused on the elderly, because it is a class despite its importance in the community except she is do not receive the interest necessary like the rest society such as women and youth.

And I has collected between status and care because the status of every one are determined the degree of interest family members and members of the society.

Keywords : role- Position - care - aged- family

مقدمة

أمام تزايد عدد المسنين في العالم، فإنه أصبح من الضروري إجراء دراسات وبحوث على هذه الفئة الاجتماعية لمعرفة واقعها واحتياجاتها المختلفة. كما أصبحت دراسة المسنين ضرورة من ضرورات التنمية في المجتمع، حيث يعرف من خلالها مدى تقدم المجتمع واهتمامه بكل فئاته الاجتماعية على اختلافه من حيث الجنس والسن والمستوى الثقافي والعلمي والوضعية الاقتصادية وغيرها من الخصائص المرتبطة بهذه الفئات.

وعلى هذا الأساس، فإننا وجدنا من الأهمية بمكان أن نساهم في دراسة هذه الفئة، مركزين خصوصا على المكانة التي تحتلها داخل الأسرة ضمن الأبناء والأحفاد والأقارب عموما، و على الرعاية التي تتلقاها هذه الفئة

من قبل الأسرة عندما تبلغ سنا يتطلب ذلك. المتغيران الذي يمكنهما إعطاء صورة واضحة عن الوضعية العامة لكبار السن في ظل التحول والتغير الذي عرفه العالم في مختلف المجالات الاجتماعية والإقتصادية، وظهور بعض المفاهيم الحديثة نتيجة هذا التغير على غرار الفردانية.

أولا : دور المسن ومكانته الاجتماعية

1- تعريف الدور والمكانة

أ)- تعريف الدور

يعرف الدور بأنه نمط من الدوافع والأهداف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك الذي يتوقع أعضاء الجماعة أن يروه في من يشغل وظيفة ما أو يحتل وضعاً اجتماعياً معيناً، والدور يصف السلوك المتوقع من شخص في موقف ما.[1]

وتعرفه هيلين برلمان بأنه " الأنماط السلوكية المنظمة للفرد من حيث تأثرها بالمكانة التي يشغلها أو الوظائف التي يؤديها في علاقاته بشخص واحد أو أكثر"[2].

أما دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية، والتي تناولت طبيعة المفهوم ومكوناته وأبعاده، فإنها تعرف الدور بالنظر إليه على أنه مفهوم يستخدم لتفسير وتوضيح التوقعات السلوكية للفرد، والتي يمكن من خلالها بيان وضعه أو مكانته، مع التركيز في إطار هذا التعريف على المظاهر الاجتماعية للدور وخاصة من حيث بزوغ الدور وعلاقته بالفاعل، وبالمكانة، وبالإطار التنظيمي، وكذلك علاقته بالشخص نفسه.

ويؤكد ثيودرسون Theodarson على جانب التوقعات في تعريف الدور فيرى أنه نموذج للسلوك مبني على حقوق وواجبات معينة، ويرتبط بمركز معين داخل نطاق جماعة أو موقف اجتماعي، ويحدد هذا الدور بمجموعة التوقعات من جانب الآخرين ومن جانب الشخص نفسه عن سلوكه. [3]

وعلى أساس ما سبق، يمكننا أن نعرف الدور بأنه عبارة عن نمط من الدوافع والأهداف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك القائم على حقوق وواجبات معينة. ويتحدد الدور بصفته تعبيرا عن سلوك، بمجموعة التوقعات التي ينتظرها الفرد من الآخرين، وتلك التي ينتظرها الآخرون منه في موقف معين. ويرتبط الدور الذي يقوم به كل فرد، في علاقة من التأثير والتأثر، بمكانته الاجتماعية وخصائصه الشخصية والجماعة التي ينتسب إليها والإطار التنظيمي الذي ينتمي إليه.

ب)- تعريف المكانة

تعبر المكانة عن وضع معين في النسق الاجتماعي ، والذي يتضمن التوقعات المتبادلة للسلوك بين الذين يشغلون الأوضاع المختلفة في البناء أو النسق. وقد تكون مكانة مكتسبة، أي يكتسبها الفرد عن طريق مجهوده وقدراته ومهاراته، أو تكون موروثة، أي قائمة على وضع موروث في المجتمع.[4]

كما أنها الوضع الذي يشغله الشخص أو الأسرة أو الجماعة القرابية في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين. وقد يحدد هذا الوضع الحقوق والواجبات وأنواع السلوك الأخرى، بما في ذلك طبيعة ومدى العلاقة بأشخاص آخرين لهم مكانات مختلفة[5].

ويعرفها أحمد بدوي بأنها المركز الذي يشغله الفرد في البنية الاجتماعية للجماعة. و بكل مركز اجتماعي ترتبط أدوار محددة يقوم بها الفرد طبقا للقواعد السلوكية المقررة[6].

وعلى هذا الأساس، يمكننا تعريف المكانة بأنها وضع معين يشغله فرد، أو أسرة، أو جماعة قرابية، داخل النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين. وهو يتضمن التوقعات التي يتم تبادلها بين الأفراد الذين يشغلون أوضاعا مختلفة في النسق الاجتماعي والتي تتعلق بسلوكات بعضهم البعض. وهذا الوضع هو الذي يحدد الحقوق والواجبات وأنواع السلوك الأخرى، بما في ذلك العلاقات مع أفراد من مكانات مختلفة. وقد تكون المكانة مكتسبة يبلغها الفرد بمجهوده وقدراته ومؤهلاته الخاصة، أو موروثة تنتقل إلى الفرد عن طريق الأسرة بصفتها إرثا معنويا.

2- دور المسن ومكانته في الأسرة

تعتمد مكانة الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها على الدور الذي يقوم به، حيث يعتبر هذا الدور الجانب الديناميكي لها، ويشير إلى مجموعة من التوقعات تخص المكانة التي يشغلها، أو إلى أنه سلوك يعكس متطلباتها. ويتم ربط الفرد بالمكانة بواسطة ممارسته لأدوار تتعلق بهذه المكانة والتي تكمن فيما يقوم به من خدمات مادية ومعنوية للجماعة التي ينتمي إليها.

لقد أدت التغيرات والتحولات التي حدثت في العالم، والتي أثرت على الأسرة في شكلها وبنيتها ووظائفها، إلى تغيير في نسق القيم والمعايير التي كانت توجه سلوكات الأفراد وتحدد أدوارهم ومكاناتهم الاجتماعية. وقد تظهر هذه التغيرات بوضوح في المجتمعات الغربية المعاصرة التي تؤمن بالقوة والسرعة ومعايير أخرى جديدة ظهرت مع التغيرات الحاصلة.[7] والدراسات المنجزة بهذا الصدد تلاحظ " تدحرجا لمكانة المسنين فيها، حيث يسود الشعور بأن كبار السن قد تخطوا المرحلة التي يكنون فيها قادرين على الإنتاج والعطاء"[8].

ولعل هذه الصورة ليست هي ذاتها في مجتمعاتنا التي ما يزال فيها المسن مصدرا هاما من مصادر الخبرة والمعرفة، وما يزال يقدم دعما نفسيا واجتماعيا لأفراد أسرته.[9] ذلك ما يراه حسين عبد الحميد رشوان إذ يقول :" لقد كانت المؤتمرات الحضرية التي جعلت من الأسرة الزوجية الصغيرة أو الأسرة النواة ضرورة من ضروريات التوافق مع ظروف المجتمع عاملا من العوامل التي أدت الى تغيير المكانة التقليدية لكبار السن في الأسرة، وقد جاء على هذه الفئة حين من الدهر لم تكن تمثل مشكلة ذات أهمية سواء للأسرة أو للمجتمع، بل كان من السهل إشباع حاجياتهم في الأسرة الممتدة، كما كانت آرائهم ومقترحاتهم وخبراتهم تحتل مكانة عالية من التقدير والاحترام من جميع أعضائها، هذا بالإضافة إلى أنه كان بمقدورهم الاستمرار في أداء دورهم الإنتاجي بإيجابية في الأسرة والجماعات القرابية التي ترتبط عضويتهم بها طوال حياتهم، كما كانت الأبوة نوعا من التأمين ضد الشيخوخة بالنسبة للكثير منهم."[10]

ويتم تقييم المسن اجتماعيا بصفته فردا من أفراد المجتمع من خلال:[11]

- عدد الأدوار التي يقوم بها وطبيعتها.
- درجة تحقيقه لهذه الأدوار.

تتباين أدوار المسن في ارتفاعها وهبوطها، وذلك في حدود إمكاناته وقدراته ومهاراته التي اكتسبها، وعلاقاته داخل الأسرة. فالمسن قد ينعزل عن المشاركة الفعالة في حياة الأسرة خاصة بعد تقاعده عن العمل وفقدانه لحيويته بسبب أعراض التقدم في السن، إلا أن دوره في الأسرة يستمر سواء أكان هذا الدور ماديا أو معنويا.

و" تتغير مكونات الدور بالنسبة للفرد تبعا للتغيرات الاجتماعية في المجتمع، وتغير المراكز الاجتماعية في المجتمع، وتغير علاقاته في أطوار النمو، وتغير قدراته وحاجاته، وتؤثر هذه التغيرات في العناصر المكونة للدور، وبالتالي يحدث تغير في سلوك الفرد".[12]

كما تتأثر أدوار المسن بالقيم الموجودة داخل الأسرة وداخل المجتمع ككل، حيث تعتبر القيم موجهات لسلوك الأفراد، ومحددات لأدوارهم ومكاناتهم الاجتماعية، فالقيم التي تحترم كبار السن وتعتبرهم مصدرا للخبرة والحكمة ورمزا للعطاء، هي التي تساعد المسن على الاستمرار في أداء أدواره الاجتماعية. وهذا ينعكس على مكانته الاجتماعية داخل الأسرة بعكس القيم التي تركن المسن جانبا وتعزله عن الحياة الاجتماعية، باعتباره ضعيفا لا يستطيع تأدية أدوار فعالة، فيفقد المسن هنا الكثير من أدواره، وهذا ما قد يؤثر على مكانته داخل الأسرة.

والذي تجدر الإشارة إليه هو أن القيم ليست هي العامل الوحيد الذي يؤثر على أدوار المسن في الأسرة، حيث لا يمكننا أن نغفل عن مدى تأثير الإمكانيات المادية والقدرات الشخصية، وكذلك الوضعية الاجتماعية ومستوى الدعم الذي يتلقاه من قبل أفراد الأسرة مثل الزوجة والأبناء، أضف إلى ذلك شكل العلاقات بينه وبينهم، ومدى تأثيرها على أداء المسن لأدواره الاجتماعية وتحديد مكانته داخل الأسرة.[13] " فمثلا الشخص الذي يتمتع بصحة جيدة يستطيع إنجاز واجباته وأدواره الاجتماعية التي يحتمها عليه الموقف. فهو يستطيع التكيف مع البيئة التي يعيش فيها، والعكس صحيح"[14].

فإذا نحن أردنا التكلم عن دور المسن في الأسرة الجزائرية، فإننا لا يمكن أن نغفل عن وضع عائلي هام يجد الكثير من المسنين أنفسهم فيه. فالأسرة التي يعيش في كنفها جد وجدة، تؤدي وظيفة ثقافية هامة بنقل التراث الثقافي من جيل الأجداد إلى جيل الأحفاد، حيث يقوم الجد والجدة بدور أساسي في حفظ ونقل تاريخ الأسرة وجذورها. "ويقوم الجدان بدور هام في تفقد أحوال الناشئة وسد الثغرات التي قد يتركها جيل الإباء والأمهات وراءهم لكثرة انشغالهم".[15]

كما أن المسن الذي يملك ثروة أو دخلا يلعب دورا هاما داخل الأسرة الجزائرية، لاسيما في أوقات الأزمات الاقتصادية بالنسبة للأبناء والأحفاد. والذي يمكن ملاحظته في الأسرة الجزائرية أيضا، هو أن بعض المسنين لهم القدرة على اتخاذ القرارات، كاختيار الزوجات لأبنائهم وحتى لأحفادهم.

فمن الأدوار التي يمكن أن يقوم بها الجدان، و خصوصا الجدة، دور حضانة الأحفاد لاسيما في فترات حمل الزوجة وولادتها، أو في حالة خروج الزوجة إلى العمل".[16]

3- دور المسن ومكانته في المجتمع

شهدت المجتمعات الحديثة تحولا أثر بشكل كبير على الأسرة وعلى الحياة الاجتماعية للمسنين، وهذا من خلال التغير الحاصل في أدوارهم ومكانتهم الاجتماعية، بسبب التحولات الحاصلة نتيجة الانتقال من الاقتصاد التقليدي إلى الاقتصاد الحديث. فلقد عرف المسن في ظل النظام التقليدي دورا ومكانة مرموقين، حيث كان هو القائد لأفراد الجماعة الاقتصادية وروحها. وكان هذا النظام يقيس مقدار المكانة حسب التقدم في العمر، فكان للفرد الأكثر سنا المسؤولية الكبرى والمكانة الأولى داخل الأسرة وخارجها[17].

ويمكن حصر الأسباب التي أدت إلى تغير دور المسن ومكانته داخل المجتمع، في العناصر التالية:[18]

أ)- انتقال المجتمع من الاعتماد على الاقتصاد الزراعي الاكتفائي إلى الاعتماد على الاقتصاد الصناعي وما استتبع ذلك من نزوح ريفي نحو المدن.

ب) - الصراع بين الأجيال نتيجة لتطور الذهنيات مع تمسك غالبية الآباء بالعادات والتقاليد .

ج)- حجم السكن الذي أصبح، بفعل التعمير الحديث، لا يسمح باستيعاب الأسرة الممتدة، مما أدى بأفراد الأسرة المقبلين على تشكيل أسر جديدة، إلى البحث عن مسكن مستقل، الأمر الذي أدى عموما إلى تقليص العلاقات الأسرية، وحصرها في نطاق ضيق ومحدود.

د)- خروج المرأة من البيت، ودخولها في الحياة العامة الاجتماعية والاقتصادية.

هـ)- تفتح أفراد المجتمع على الثقافات الأجنبية، نتيجة عوامل الاتصال المختلفة، واكتسابهم قيما جديدة أثرت على سلوكاتهم وتوجهاتهم المختلفة.

هذه الأسباب كلها أثرت في دور المسن ومكانته، وانعكست على نفسيته وحالت دون اندماجه الاجتماعي، مما أدى إلى انحسار علاقاته الاجتماعية. فتفكك الروابط بين الأجيال المتعاقبة، أجيال الأباء والأبناء، فد أدى بالضرورة إلى إضعاف مبدأ الالتزام تجاه كبار السن الذي كان مبدأ قويا في المجتمع التقليدي. كما أن نمط الانتاج الحديث قد أدى إلى تقهقر السلطة الأبوية حتى في الأسر التي ظل شكلها ممتدا وبنيتها مركبة ودوائر القرابة فيها محتفظة على بعض أشكالها التقليدية.

لقد أصبح المسن الذي كان له نشاط اقتصادي معلوم ومكانة اجتماعية محترمة، نتيجة لوضعه الجديد الذي فقد معه مكانته يشعر أنه فرد غير مرغوب فيه. وهو شعور ناجم عن فقدانه لمكانته الاجتماعية نتيجة إحالته على التقاعد بمعاش زهيد، أو دون معاش، إضافة إلى انفصال أبنائه عنه واستقلالهم بحياتهم الخاصة.

ثانيا: رعاية المسنين وأنواعها

1) مفهوم رعاية المسنين

لا توجد في المراجع المتوفرة لدينا تعاريف كثيرة عن الرعاية الاجتماعية للمسن، إلا أن هناك تعريفا يمكن أن يسد هذا النقص، وهو التعريف الذي تقدمه الجمعية الأمريكية للأخصائيين الاجتماعيين. فرعاية المسنين بالنسبة إليها هي :" مجموعة الأنشطة المنظمة التي تمارسها هيئات حكومية وأهلية تطوعية، تسعى من أجل توفير الحماية والوقاية والحد من أثار المشكلات الاجتماعية والعمل على علاجها بإيجاد الحلول المناسبة لها. كما تهتم بتحسين مستوى معيشة الأفراد والجماعات، وتستند هذه الأنشطة لجمهور المتخصصين المهنيين كالأخصائيين الاجتماعيين والمحللين النفسيين والأطباء والمحامين والمدرسين.[19]

إن هذا التعريف ينطبق خصوصا على الرعاية في البلدان المتطورة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه يخضع النشاط الرعائي إلى قوانين خاصة، تنظم الهيئات الحكومية والجمعيات المدنية التي هدفها رعاية كبار السن، وتوفير الحماية لهم، ووقايتهم من المخاطر الاجتماعية، وعلاجها إن وجدت، والعمل على تحسين معيشتهم. إلا أنه بالرجوع إلى واقعنا الاجتماعي، نجد أن ما توفره الأسرة والمجتمع للمسنين هو نفس الحاجات التي يتحدث عنها التعريف مع فارق جوهري، وهو أن الرعاية الأسرية عندنا منظور إليها من منطلق الواجب الديني، ومنطلق الأعراف والتقاليد، ولا تتطلب قوانين تنظمها وتستدعي بذلك مراقبة الدولة. وسكوت قانون الأحوال الشخصية عن هذه المسألة دليل على أن رعاية المسنين مسألة طبيعية لا تدعو إلى تنظيم قانوني. وإذا كانت رعاية المسنين من قبل الدولة في البلدان المتطورة تعتبر قاعدة، فإنه بالنسبة لمجتمعنا تشكل استثناء، ولا ينظر إليها المجتمع بعين الرضا.

2) أنواع الرعاية المقدمة للمسنين داخل الأسرة

بحكم أن كبر السن هو مرحلة حتمية من مراحل الحياة الإنسانية، من جهة، ونظرا لتزايد نسبة المسنين في العالم بشكل ملحوظ من جهة أخرى. فقد سعى المجتمع بكل مؤسساته إلى تقديم الحماية والرعاية المختلفة لهذه الفئة من أفراده. وسوف يتم فيما يلي التطرق إلى أهم أنواع الرعاية المقدمة أو الواجب تقديمها للمسنين خاصة داخل الأسرة، ومن بين أنواع الرعاية هذه، سوف نركز على الرعاية الصحية، والاقتصادية، والاجتماعية والنفسية. ويمكن الإشارة هنا، إلى أن درجة الرعاية التي يتلقاها المسن في الأسرة تتوقف بشكل كبير على دوره ومكانته داخلها.

أ- الرعاية الصحية

تختلف الاحتياجات الصحية للمسنين عن احتياجات الفئات الأخرى. فعادة ما يكون المسنون أكثر من يحتاج إلى الأطباء، ذلك لأن أنواع الأمراض ونسبة الإصابة بها تختلف وتزيد عندهم بالمقارنة مع الفئات العمرية الأخرى.

وترتكز الرعاية الصحية المقدمة للمسنين على أساسين:

- أساس وقائي.
- أساس علاجي.

فأما الأساس الوقائي فيتمثل في الخدمات الصحية التي يمكن أن تمنع المرض أو تؤخره قدر الإمكان، وهذا من خلال زيادة المعلومات الصحية المقدمة لهم، عن طريق عمليات التوعية، وتوضيح الممارسات التي يمكن أن تعرضهم للمرض، وتحسيسهم بضرورة تجنبها. فعلى سبيل المثال العمل على إبعاد المسن عن مجموعة من المواد الغذائية المضرة بالصحة، وحثه على ممارسة مجموعة من الأنشطة الجسمية: كالمشي وغيرها، وكذا الاهتمام بنظافته بصفة عامة، وذلك حتى لا يكون عرضة لبعض الأمراض.

كما تتم الرعاية على أساس وقائي من خلال الكشف الدوري للمسنين في المؤسسات الصحية، التي قد تكشف عن الأمراض في مراحلها المبكرة، وبالتالي علاجها قبل أن تتفاقم.

أما الأساس العلاجي فيتمثل في تخليص المسن من الشوائب والأعراض الصحية التي لحقت به وأصابته، وذلك من خلال توفير المؤسسات الصحية المجانية، وكذا توفير خدمات الإقامة بالمؤسسات الصحية في حالة الإصابة بالأمراض التي تتطلب هذا النوع من الخدمات.[20]

من خلال الوقوف على الرعاية الصحية للمسنين، يتضح لنا أن هذه الرعاية لها محوران أساسيان لا يمكن غض الطرف عن أحداهما أو التقليل من أهميته.

فالمحور الأول : يتمثل في الرعاية الخارجية التي يتلقاها المسن من غيره أو من البيئة الاجتماعية المحيطة به، حيث تكون ملائمة لحاجاته ولمتطلباته.

أما المحور الثاني : فيتمثل في المسن نفسه، بما يحمله من وعي بنفسه وبظروفه الصحية، فلا بد أن يكون متمتعا بمجموعة من المعلومات المفيدة وبمجموعة من المهارات الصحية والعادات السليمة[21].

وتلعب الأسرة دورا حيويا في هذا النوع من الرعاية، وذلك بالحفاظ على صحة المسن، من خلال مراعاة نظافته الجسدية، وكذا توفير الوسائل الصحية الخاصة به كالسماعات والنظارات. ومن أهم الأدوار الصحية للأسرة تجاه المسن، الاعتناء بغذائه، كما ونوعا، بما يلائم تقدمه في العمر، وأخذا بعين الاعتبار تناوله المستمر للأدوية. وتعد الأسرة المؤسسة الأصلية التي تهتم بالرعاية الصحية للمسنين–خاصة النساء المسنات منهم–حيث تقوم بتوفير مصاريف العلاج لهم، الأمر الذي يعتبر بالغ الأهمية بالنسبة للفئات التي لا دخل لها، أو ضعيفة الدخل. وفي كل الأحوال، تبقى نوعية الرعاية الصحية للمسنين مرتبطة بالظروف التي تعيشها أسرهم.

ب– الرعاية الاقتصادية

رغم الإجراءات التي اتخذتها الدول والحكومات في العالم من أجل تحسين الوضع الاقتصادي للمسنين، ومن أجل حمايتهم وتأمين مصدر للدخل لهم في هذا العمر، من خلال القوانين وأنظمة الحماية الاجتماعية والضمان الاجتماعي، وإنشاء صناديق التقاعد، إلا أن هذه الإجراءات لم تمس كل المسنين، ولم تضمن دخلا جيدا وكافيا لهم. وهذا نتيجة النقص الذي يحدث في دخل المسن عند إحالته على التقاعد، زيادة على الأعباء المادية

الإضافية، خاصة فيما يتعلق بعبء مصاريف العلاج. وأمام هذه الوضعية، وضعت هيأة الأمم المتحدة مجموعة من الإجراءات لتحسين الرعاية المادية والاقتصادية للمسنين، وهذا من خلال ما يلي[22]:

- إدراج المسنين في سياسات وبرامج الحد من الفقر.
- وضع وتنفيذ سياسات ترمي إلى توفير الحماية الاقتصادية والاجتماعية الكافية في فترة الشيخوخة.
- السعي إلى تأمين دخل كاف لجميع كبار السن.
- السعي إلى اتخاذ تدابير ملائمة في مجال الحماية الاجتماعية والضمان الاجتماعي من أجل التصدي لظاهرة تفشي الفقر في أوساط النساء المسنات.

هذا وترتكز الرعاية الاقتصادية للمسن داخل الأسرة، على دخله ومكانته من جهة، وعلى دخل الأسرة من جهة أخرى. فالمسن الذي لديه دخل مرتفع يضمن له الاستقلال المادي عن أفراد أسرته، ويسمح له بتوفير مختلف متطلباته اليومية. أما المسن الذي لا يملك دخلا يكفيه لتوفير متطلباته، فيبقى معتمدا على أفراد أسرته، حيث يقوم الزوج أو الابن الأكبر بتغطية احتياجاته الاقتصادية.

ج- الرعاية الاجتماعية

يعرف كبير السن في هذه المرحلة من العمر عدة تغيرات ومشكلات اجتماعية، تتمثل أساسا في تراجع دوره ومكانته، وكذا تدهور العلاقات الاجتماعية، سواء على مستوى الأسرة أو على مستوى المجتمع ككل. ولذلك فلا بد من توفير رعاية اجتماعية خاصة بهذه الفئة خاصة من أفراد أسرته.

ومن أجل ضمان رعاية اجتماعية للمسنين، بادرت هيأة الأمم المتحدة بوضع مجموعة من الأفكار والأهداف التي ترمي إلى خدمة ورعاية المسنين، سواء في الأسرة أو في المجتمع ككل. ومن بين هذه الأفكار:

1- التشجيع على فهم الشيخوخة عن طريق نشر الثقافة، وهذا باعتبارها ظاهرة تهم المجتمع كله.

2- وضع مبادرات تهدف إلى تعزيز التبادل بين الأجيال، والتركيز على كبار السن لأنهم يشكلون موردا اجتماعيا.

3- الاهتمام بأوضاع الأجيال خاصة بالجيل الذي يتعين عليه العناية بالأبوين وبالأطفال وبالأحفاد في نفس الوقت.

ويعطي الكاتب مصطفى محمد أحمد الفقى مجموعة من المقترحات لمواجهة المشكلات والمتغيرات الاجتماعية التي تواجه المسنين. وهذا من أجل ضمان رعاية اجتماعية تتماشى مع متطلباتهم في هذه المرحلة العمرية، ومن بين هذه المقترحات ما يلي:

- توفير الحياة الأسرية: وذلك من خلال وجود الأبناء أو من خلال الزيارات العائلية المتكررة.
- المكانة والدور: فلا بد أن يحصل المسن على المكانة الاجتماعية، وأن يتم تمكينه من أداء أدوار حتى في أبسط شؤون المنزل. وكذا إيجاد أدوار بديلة تتناسب مع وضعية المسن وإمكاناته الفعلية وخبراته السابقة.
- مساعدته في إنشاء وتكوين علاقات اجتماعية: وذلك من خلال تنظيم عمليات التفاعل الاجتماعي، ومساعدته في تكوين علاقات وصداقات جديدة.

إن درجة الرعاية الاجتماعية للمسن في الأسرة، هي التي تبرز دوره ومكانته داخلها، فكلما زاد دور المسن ومكانته داخل الأسرة، كلما زادت رعايته الاجتماعية داخلها. وتبرز الرعاية الاجتماعية للمسن داخل الأسرة الجزائرية من خلال، الزيارات التي يقوم بها له الأقارب الذين لهم أسرهم المستقلة، وتوفير كل احتياجاته ومطالبه الاجتماعية من غذاء، وملبس ومبيت . وكذا من خلال استشارته وإشراكه في كل شؤون الأسرة.

د– الرعاية النفسية

إن تحسين المحيط الاجتماعي للمسن لا يكفي وحده، بل لا بد أن يتبع ذلك تحسين ومراعاة الجو الداخلي النفسي للمسن، وهذا من خلال إبعاده عن الأفكار التي يمكن أن تحول دون سعادته، وتجعل حالته النفسية معقدة وسيئة، مثل فكرة الموت، والاكتئاب، واحتقار الذات، والوسواس... هذه الحالات النفسية وخاصة إذا تأزمت فإنه لا يمكن التخلص منها إلا من خلال تقديم علاج نفسي طبي.[23]

وقد حدد الباحثان أرولد و كوينج مجموعة من الأساليب التي تساعد على الرعاية النفسية للمسنين داخل الأسرة، ومن بين هذه الأساليب ما يلي[24]:

– تحسيس المسن بأنه محل تقدير من الكل، وأنه ليس عبئا على الآخرين.

– تدعيم واستحسان كل الأشياء الإيجابية التي يقوم بها المسن، وعدم التركيز والاهتمام بالأشياء السلبية، وهذا من أجل تحقيق الرضا الذاتي له.

ترتبط الرعاية النفسية للمسن داخل الأسرة على أنواع الرعاية الأخرى المقدمة له، فبتحقيق الرعاية الصحية، الاجتماعية والاقتصادية تكون الأسرة قد حققت الرعاية النفسية للمسن، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وتتحقق الرعاية النفسية للمسن داخل الأسرة من خلال، خلق جو من الارتياح النفسي والعاطفي بين المسن وأفراد أسرته، وهذا من خلال زيادة العلاقة والتفاعل بينهم.

خاتمة

وفي الأخير، فإن الذي يمكننا الخروج به مما سبق، هو أن مكانة المسن في الأسرة تتحدد وفق الدور الذي يقوم به، بالإضافة إلى مجموع القيم السائدة في هذه الأسرة بصفة خاصة، وفي المجتمع بصفة عامة.

وعليه تقع المسؤولية على أفراد المجتمع، وخاصة منهم الباحثين والمتخصصين في مجال خدمة ورعاية كبار السن في إعطاء الأهمية والمكانة الاجتماعية لهذه الفئة، وعدم اعتبارها فئة مهمشة أو فئة عالة على المجتمع، كما نجد ذلك في بعض الكتب المعتمدة كمراجع. والواقع أن هذه الفئة لم يتم إعطاؤها المكانة الحقيقية بها، بدءا بالأسرة ووصولا إلى المجتمع.

ولا تتحقق هذه المكانة إلا من خلال توفير الرعاية بمختلف أنواعها، الاجتماعية، الاقتصادية، الصحية والنفسية، لشريحة اجتماعية قدمت في شبابها وكهولتها خدمات جليلة للمجتمع، والشرع والقانون يكفل لها وقد بلغت مرحلة العجز أن تستعيد ولو قسطا قليلا مما قدمته.

وإذا أردنا أن نستكشف حقيقة الوضع الذي يعرفه المسن، فإن الميدان لا يزال خصبا. وعلى الباحثين والمختصين، إذا توخوا ذلك، التطرق إلى دراسة كبار السن دراسة لا نظرية مجردة قد تجانب الواقع أو تناقضه، بل دراسة ميدانية تعبر عن الواقع المعاش، وتكشف عن المكانة والرعاية الحقيقيتين الموجودتين في الأسرة خاصة، والمجتمع على وجه العموم.

الهوامش:

1- أنظر مولود زايد الطيب، **دور الحراك الاجتماعي في الحصول على المكانة الاجتماعية وعلاقة ذلك ببنية ونظام المجتمع**.مرجع سابق،ص.14

2- أنظر خيري خليل الجميلي، **نظريات في خدمة الفرد**. الإسكندرية: المكتب العلمي، 1998، ص.24

3- أنظر عصام عبد الشافي ، **نظرية الدور: دراسة تأصيلية في المنطلقات الاجتماعية والسياسية**. لبنان: المركز العربي للدراسات والأبحاث بدون سنة نشر،ص75.

4- فاروق مداس، **مصطلحات علم الاجتماع**. الجزائر: دار مدني للطباعة والنشر،2003،ص.235

5- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006، ص406

6- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية**. القاهرة: دار الكتاب، لبنان: دار الكتاب اللابناني، ط1، 1987، ص246

7- أنظر لعبيدي نادية،**المكانة الاجتماعية للمسن في الاسرة الجزائرية**.مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة،2008-2009،ص104.

8- أنظر عزت سيد احمد وآخرون، **التقدم في السن**.الكويت:دار القلم،ط1984،1،ص110

9- حسن محمد حسن وآخرون،**دراسات بيئية وأسرية**. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية،1998،ص262

10- حسين عبد الحميد رشوان، **الأسرة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع الأسرة**. الإسكندرية:مؤسسة شباب الجامعة،2003،ص120.

11- محمد نبيل عبد الحميد، **العلاقات الأسرية وتوافقهم النفسي**. القاهرة: الدار الفنية، 1999،ص.92

12- عز الدين ابراهيم، **السنوات الأخيرة من العمر في ضوء الهدى الاسلامي ومعطيات الدراسة العلمية الحديثة**. بيروت: المكتب الاسلامي، ط2001،1، ص 170.

13- لعبيدي نادية،**المكانة الاجتماعية للمسن في الأسرة الجزائرية**.مرجع سابق،ص.104

14- حسن محمد حسن وآخرون،**دراسات بيئية وأسرية**.مرجع سابق،ص110.

15- سامية محمد فهمي، **المشكلات الاجتماعية**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003، ص 92.

16- علياء شكري وآخرون، **الأسرة والطفولة**. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ط1، 1993، ص254.

17 - CHAULET Claudine, La terre, les frères et l'argent, stratégie familiale et production 4gricole en Algérie depuis 1962, OPU, Algérie 1984, p 20.

18- أنظر: بوغالي حاجي، مكانة المسن داخل الأسرة الجزائرية. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر2 ، 2011-2012، ص.104

19- محمد خليفة، **ممارسة الخدمة الاجتماعية: قراءة جديدة في قضايا الخدمة الاجتماعية**. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1998.

20- أنظر سلامة ابراهيم، **رعاية المسنين قضايا ومشكلات الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة** . مرجع سابق ، ص 75.

21- نفس المرجع، ص.75

22. http//www.un.org/arabic/esa/ageling

23- سلامة ابراهيم، **رعاية المسنين قضايا ومشكلات الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة** . مرجع سابق، ص482.

24- نفس المرجع، ص48.